

## شذرات

## بجوار بحيرة النوم

هدى عمران\*

1

تضع امرأة ثعلباً مقتولاً في طبق، هي تقول إن هذا الثعلب هو نفسه هي، لكن لا أحد يفهم، تضع الطبق على الطاولة وتحضر الشوك والسكاكين لأكل جميل ومنمق، ثم تضع رأسها بجوار الثعلب، تمد له كأس النبيذ والسكين المسنون والروح الممتدة، وتقول له التهمني يا حبيبي.

2

لو أنني سمكة، رمادية ومنقطة بدوائر سوداء، ملقاة على مفرش أخضر، وتخرج من بطنها اللالئ.

لو أنني البحر، وهذا البحر يعرف

الأسرار، ولا تهمه هذه الأسرار، فيغرقها مع بقايا الزبد والرمل والصخور.  
لو أنني الألم، أحفر وأهدم وأشكل من جديد، أستعذب وأستعذب، وأجلس في منبع الذكرى، جميل ولا مبال.  
لو أنني الحب، حكاية تخلفها العاطفة في عقل مجنون، لتحكيها لرأس معلقة بحنان على كتف الغريب.  
لو أنني كتف الغريب، بلا عقل، بلا ذكرى، بلا لون ولا رائحة، بئر عميق يملؤه الجفاف ويشبعه.  
لو أنني العطش، لون أصفر ممتد نحو المجهول، وردة متعفنة في إناء، يصير صاحبها على تقبيلها كل صباح.  
لو أنني المجهول، بكل هذا الاتساع، فابتلع أرواح الموتى، وأذهب بهم لحقل القمح والغربان نحو الربيع.

لو أنني الموت، يدب في جسد السمكة، يملأ البحر، ينشئ الألم، يعرف كيف يكون الحب على كتف غريب، كيف يكون العطش في فم صاحب الورد، وكيف تكون لوعة الذهاب إلى المجهول.  
لو أنني أنت، وأنت أنا، لكنك كل شيء، السمكة، البحر، الألم، الحب، كتف الغريب، العطش، المجهول والموت!

3

أحبك ولم أكن أعرف وأنت تشبهين القمر طائر ومجنون قمر أزرق يشبه بيتي الآمن يشبه خوفي أنت مغنيتي المهووسة داخل الغرفة الزرقاء الصوت المتهادي بالألم في عزلي

بهجتي اللامعقولة وكابتي الممتدة إلى الآن.

4

أعلى النموذج كانت هي الحياة وكنت أنا الدموع والضالة. أراها وهي تعبرني بغيرور كأنها اللحظة الضائعة بين الغفوة والنوم كالمرأة المذهلة في قاربها الصغير لا تنتظر لأثار الرمال على الشاطئ كانت كحلم صاحب أحمر وكنت لامرئية وحزينة كعظام هشة

معذبة من كثرة الحب بفجوة صغيرة جداً في الصدر تحن لشيء مجهول وتسير بلا وعي أسفل النموذج

أعلى النموذج

5

تحركت المرأة الصغيرة ببطء، قالت شيئاً بصوتها الناعم الحاد، فرددت عليها بصوت غريب، ثم جلسنا على المقاعد الوثيرة ونحن نفكر في النوم. النوم يشبه الحب لأنه العزلة في عالم الغرابة؛ رددت ذلك في دماغي، وقلت لها إنني سأخذها معي في حلم الليلة بديلاً عن الأرق الذي يتعبها، فتصبح هنا وهناك، ثابتة ومتحركة، قالت «أنا متعبة ولا أريد الذهاب إلى حلم أحد». كانت تتكلم بضجر ورقة، رقة أقرب إلى اليأس، ولاحظت في هذه اللحظة أن مشاعرنا التي جعلنا ضعفاء هي التي تمنحنا الجمال، وأنها جميلة، جميلة جداً.

قلت لنفسني إنني لا أريد إزعاجها، وأخذها في حلم الليلة، لكني لم أستطع عدم استحضار كفيها الصغير وهو يكمش ظهري في لحظة التحدث عن الفراق الذي سبتحتم، وضعت كفي على ظهرها بالتبادل، ووددت لو بكيت، لكن خانتني عينايا.

كان كفيها يرافقني في الشارع، وهذه الرمشة الرقيقة من العينين المؤرقتين أيضاً، حاولت استيعابها لكن الكف الشبحي، تحول إلى امرأة صغيرة وجميلة لها صوت ناعم وحاد تتحرك معي.

قلت لها أنها لا بد أن تذهب معي إلى الحلم ونسي لفترة هذا السهر مع وحدتها، رمشت بعينيها واختنق صوتها فتحولت الرمشة إلى دموع، وشعرت بقلبي هو الآخر يبكي، فتكونت تحتنا بحيرة، قلت لها من الواضح أننا ذهبنا للحلم دون أن نعي، وأنها الآن معي، فابتسمت.

كانت هذه هي بحيرة النوم التي يأتي إليها المتعبون من الأرق، سحبت كفيها من على ظهري، طقطقت أصابعها، ثم ملأت يدها من ماء البحيرة وشربت، وقالت «بديلاً عن التفكير في النوم تعالي لننام»، ثم مشت خطوتين للأمام وتمددت على العشب الطري وألقت كفيها للخلف لتلامس حافة البحيرة، تحركت باتجاهها وشعرت بالراحة لوقوعها على حافة النوم، قالت بصوت ناعس «تعالي». مددت كفي بدوري لأشرب وأنام بجوارها.

على صفحة الماء كانت تظهر صورتانا كأننا صغيرتان في زمن آخر، نجلس جوار بحيرة عذبة، ويمتد أمامنا مرج العشب الأحمر، وهناك كان أرنب يقفز ويختبئ بين الصخور.

\* شاعرة مصرية

«مركز  
الاهتمام»  
للمصري، عمر  
عبدالظاهر  
(زينت على  
كانفاس -  
92x92)



## شعر

## هدايا متأخرة

ماهر  
راعبي\*

## أولاد الشوارم

عندما كنا أولاد الشوارم  
كان عزرائيل يجوب أزقتنا وحيداً  
وتملاً  
كنا نظنه مجنون الحي البعيد  
يجلس حين تتعبه المطاردة  
يقف فجأة يبتسم للحجارة في  
قبضاتنا الصغيرة  
ثم يمد يده لنا بسكاكر غريبة  
وشهية  
على مهل خجلة تسقط حجارتنا  
المتوزقة  
قال لنا: «مثل هذه المهام يا أولاد

تحتاج (صهريجاً من الخمر)»  
إنها حقاً مهام متعبة وقذرة  
تحتاج لفريق عمل  
أرهقني الله حين كلفني  
تحلقنا حوله نستمتع لحكايات لم  
يروها لأحد  
سأله صديقي: «كيف ملاك أن يعرف  
ما هو الصهريج؟»  
خجلنا جميعاً من السؤال  
ومن وقاحة الصديق  
لكننا ترقبنا وأصغينا جيداً للجواب  
حتى ضحك ضحكة حلوة  
كضحكة عجوز يلاعب حفيده..

## هدايا متأخرة أو دون مناسبة

لهذا أرسلت هدايا للنمل  
في حيننا القديم - قرب بيت أهلي  
الذين ماتوا-  
أرسلت مؤونة سنة كاملة  
دونما أن ينتبه أولادي وزوجتي ولا  
جيراني  
أو يعرف بذلك طلابي وزملاء العمل  
ولن أكتب ذلك في مذكراتي الخاصة!  
كنت أملك شاحنة حمراء وحيدة  
أحملها كقطعة حلوى طرية  
أخاف أن تتالم إن ضغطت بشدة  
وحين تتسخ يداي أحملها بفمي

كانني أمها القطة  
شاحنة حمراء صغيرة وحيدة  
وضعت في صندوقها تسع نمالات  
مع حملتهن القاسية  
وقدت فرحاً الطريق الطويل الشاق  
دون أن ننس لبعضنا بكلمة واحدة  
الراكبات والسائق  
كن سعيدات وأنا كذلك - في السعادة  
تكمل عملك بصمت لطيف  
حينها فقط تبتسم وتتضغط  
أصابعك على المقود  
عيونك تمسك الطريق  
وفقط تفكر أنك سعيد - وحين وصلنا  
قلت مثل سائق مفرط في اللطافة:

«لقد وصلنا تفضلن بالزول...»  
هالني  
هالني كيف تاهت النمالات  
تاهت وتركت أحمالها  
تاهت النمالات ولم تهتد للمدخل  
الواضح تماماً  
ديوني لا تنتهي للنمل والنحل  
والأشجار والبحر  
وثمة ديون للشوارع القديمة وديون  
للمارة وأخرى للهواتف وللحلاجات  
وللخبز وللشوك  
ديوني لا تنتهي  
لا تنتهي..

\* شاعر سوري